المحاضرة الأولى

اللسانيات ما قبل التداولية

عناصر المحاضرة:

1. مقدمة

2. اللسان المصطلح والماهية

1.2. اللسان في اللغة

2.2. اللسان في الاصطلاح

*** اللسان في التراث العربي**

*** اللسان واللسانيات**

3. اللسانيات المفهوم ومجالات الدراسة

4. أهم مبادئ اللسانيات

مقدمة:

ظلت اللغة على مر العصور حقلاً للدراسة والتحليل والتعقب، وظلت الأيادي المولعة بكشف أسرارها وتتبع خفاياها حريصة في كل مرة على الغوص في تفاصيلها معلنة ميلاد حركة علمية اصطلح على تسميتها باللسانيات، التي تعددت نظرياتها استناداً إلى الخلفية الفكرية التي قادت البحث اللساني، مشكلة أرضية متينة للبحث المنهجي القائم على قواعد وأسس موضوعية، تنأى بالظاهرة اللغوية عن مصارع الذاتية وتأويلات الذوق.

ولما كان التطور الحضاري الإنساني واقعاً لا ينكره أحد، كانت الحركة العلمية المولعة بدراسة للغة تبعاً لذلك تراكمية الصفة والمنهج، لا تستكين إلاّ لتتبدى في صورة أسرع، فكانت التيار اللساني على مر العصور مرافقاً للتطور الفكري الإنساني ككل، فولد من رحم هذا الزخم نظريات لسانية عدة، وإن اختلفت في الرؤية وطريقة التحليل إلاّ أنها اتفقت كلها على أن اللغة هي نظام تواصلي جدير بالدراسة والفهم .

1. اللسان المصطلح والماهية:

1.1اللسان في اللغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة(لسن):« لِلّسانُ: جارحة الكلام، وقد يُكْنَى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ؛ قال أَعشى باهلة:

إِنّي أَتَتْني لسانٌ لا أُسَرُّ بها ** من عَلْوَ، لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

قال ابن بري: اللِّسان هنا الرِّسالة والمقالة؛ومثله:

أَتَتْني لسانُ بني عامِرٍ ** أَحاديثُها بَعْد قوْلٍ نُكُرْ

قال: وقد يُذَكَّر على معنى الكلام: قال الحطيئة:

نَدِمْتُ على لسانٍ فاتَ مِنّي،** فلَيْتَ بأَنه في جَوْفِ عَكْمِ

واللِّسانُ المِقْوَلُ، يذكر ويؤنث، والجمع أَلْسِنة فيمن ذكر، مثل حِمار و أَحْمرة، وأَلْسُن فيمن أَنث مثل ذراع وأَذْرُع، لأَن ذلك قياس ما جاء على فِعالٍ من المذكر والمؤنث، وإِن أَردت

باللسان اللغة أَنثت. يقال: فلان يتكلم بلِسانِ قومه. قال اللحياني: اللسان في الكلام يذكر ويؤنث. يقال: إن لسانَ الناس عليك لَحَسنة وحَسَنٌ،واللِّسْنُ، بكسر اللام: اللُّغة. واللِّسانُ: الرسالة، وحكى أَبو عمرو: لكل قوم لِسْنٌ أَي لُغَة يتكلمون بها. ويقال: رجل لَسِنٌ بَيِّنُ اللَّسَن إِذا كان ذا بيان وفصاحة»[1].

ويقول ابن فارس في مقاييسه في مادة (لسن)« اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو في غيره ومن ذلك اللسان وهو معروف، والجمع ألسن فإذا كثر فهي الألسنة، ويقال لسنته إذا أخذته بلسانه قال طرفة:

وإذا تَلسنني ألسنتها *** إنني لست بموهون غمر

واللّسن جودة اللسان وفصاحته واللِّسن اللغة ، يقال لكل قوم لِسن أي لغة، وقرأ بعضهم قوله تعالى:(وما أرسلنا من رسول إلاّ بلِسن قومه) ...»[2] .

كما ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم للدلالة على النظام التواصلي المتداول بين أفراد المجتمع البشري في قوله تعالى:« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم»[3]، وكذا في قوله تعالى:« لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين»[4]،وفي مواضع أخوى لا تخرج كلها عن الدلالة عن هذا النظام التواصلي.

2.2 اللسان في الإصطلاح:

أ.اللسان في الثراث العربي:

إن المتتبع لمصطلح اللسان في المدونة العربية الثراثية يمكن له أن يقف على حقيقة إجماع أغلب المهتمين بالدرس اللغوي على أن المراد باللسان هو ذلك النظام التواصلي الاجتماعي القائم ضمن بيئة اجتماعية ولغوية محدودة ، ومن ذلك الفرابي (ت339ه)

---

[1] ابن منظور: لسان العرب .(مادة لسن).دار صادر. بيروت.مج4.ط1. 2000. ص 265.

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة. مادة (لسن). تح/ عبد السلام هارون.دار الفكر العربية. بيروت.د/ط.د/ت ص342.

[3] سورة الروم. الآية 22.

[4] سورة الشعراء. الآية 195

الذي يرى أن قسم علم اللسان إلى قسمين «أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلى ما يدل عليه شيء منها، والثاني قوانين تلك الألفاظ(...) إن الألفاظ الدالة على لسان كل أمة ضربان مفردة ومركبة(...) وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة ، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار»[5].

فالملاحظ من قول الفرابي أن الفكر العربي كان سباقاً إلى تحديد مستويات دراسة اللغة دراسة بنيوية، إذ أشار إلى عدة مستويات في هذه الدراسة، ونقصد بذلك : المستوى الصوتي (قوانين تصحيح القراءة)، المستوى الإفرادي (علم الألفاظ المفردة،) المستوى التركيبي(قوانين الألفاظ عندما تركب)...الخ.

ب.اللسان واللسانيات في الدرس اللغوي الغربي:

1. مفهوم اللسان:

يدل مصطلح اللسان(langue) على ذلك النظام التواصلي المستقل، المتحقق في بيئة اجتماعية محددة، فهو نظام يمتلكه كل فرد (متكلم/ مستمع) ينتمي إلى بيئة اجتماعية محددة، والذي يحقق من خلاله عملية التواصل بينه وبين أفراد هذه البيئة،انطلاقاً من مخزون ذهني مشترك بينهم، وحالما يحقق هذا المخزون الذهني الموجود بالقوة إلى انجاز بالفعل على أرض الواقع، تحول إلى كلام(parole)، فاللسان «في جوهره أصوات، والأصوات علامات تترابط منسجمة في تكامل بحيث تشكل بنية ، وهي البنية الصوتية التي تقترن بمدلولها لتحقيق العملية الإبلاغية عن طريق التركيب»[6].

---

[5] أبو النصر الفارابي: احصاء العلوم.تح/عثمان أمين. مكتبة الخانجي القاهرة. د/ط.1931. ص 15.

[6] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.د/ط.د/ت .ص 14.

وبهذا يصبح اللسان(اللغة) واقعة تتمتع بوضع خاص، فهو القناة التي تتيح للإنسان نقل الكون من مجرد معطيات حسية بلا نظام إلى مفاهيم تدرك عن طريق التجربة،فهو وسيلة للتواصل وتنظيم التجارب، بل وإنتاج دلالات جديدة وتنويعه،وفي هذا يقول دوسوسير:«إن اللسان نسق من العلامات المعبرة عن الأفكار، وهو بذلك شبيه بأبجدية الصم والبكم، وبالطقوس الرمزية وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلاّ أنه يعد أرقى هذه الأنساق، ومن هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقود إلى دراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية»[7] ، ويقصد به السيميولوجيا التي تعد اللسانيات فرعاً عنها.

2.مفهوم اللسانيات:

يقصد باللسانيات الدراسة العلمية الموضوعية للغة ، فهو علم يبحث في ظواهر معينة متعلقة باللغة، لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها ومراحل تطورها، «من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع، فهي دراسة للسان البشري تتميز بالعلمية والموضوعية»[8]. ويقصد بالعلمية «إدراك الشيء على ما هو عليه، وبوجه خاص دراسة ذات موضوع محدد بطريقة ثابتة تنهي إلى مجموعة من القوانين »[9]، أما عن مفهوم الموضوعية فالمراد بها كل دراسة تبتعد عن الذات لتجعل من الموضوع منطلقاً وغاية، لغرض تحقيق نتائج تبتعد عن نوازع الذات وسلطان الذوق، فالموضوعية هي طريقة العقل الذي يتعامل بها مع الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو تحيز ذاتي.

ويعتبر فردينان دي سوسير(1857-1913م) أول من بشر بعلم جديد سيأخذ على عاتقه دراسة حياة العلامات بمختلف أشكالها داخل الحياة الاجتماعية من خلال الكشف عن

---

[7] فردينان ديسوسير: محاضرات في اللسانيات العامة,تر/يوسف غازي ومجيد النصر.منشورات الحزب. الجزائر.د/ط. 1986.ص 23.

[8] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات. ص 14.

[9] المرجع نفسه. ص ن.

القوانين التي تحكمها، وبما أن اللسان هو أرقى هذه العلامات فهو الأجدر بالدراسة والتحليل، من خلال هذا العلم الجديد وهو علم اللسان أو اللسانيات التي تهتم بدراسة:

– اللغة المنطوقة والمكتوبة.

– اللغات الحية والميتة.

–تدرس اللغة من كل جوانبها دراسة شاملة ضمن تسلسل متدرج على مستوى: الصوت، الصرف، النحو، الدلالة، المعجم.، وعليه يمكن حصر مهمة اللسانيات في النقاط التالية:

–تقديم وصف للغات وتاريخها وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها.

–البحث عن خصائص اللغات كافة، ثم استخلاص قوانينها العامة.

–أن تحدد اللسانيات نفسها ، و يعترف بها ضمن حقول العلوم الإنسانية.

وقد ظهرت اللسانيات كعلم قائم مستقل قائم بذاته في القرن (19م) نتيجة عوامل عدة أهمها:

–اكتشاف اللغة السنسكريتية مع وليام جونز.

–ظهور القواعد المقارنة بين اللغات، على غرار المقارنة بين اللغة السنسكريتية والأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية .

3.أهم مبادئ اللسانيات :

إن التوجه الجديد الذي أتى به دي سوسير قد قلب موازين الدراسة، فنقلها من بوتقة التأريخ والمقارنة إلى حقل الدراسة الوصفية الآنية، و بمعزل عن كل ما يحيط بالظاهرة اللغوية من أنساق وسياقات، انطلاقاً من إيمانه بأن اللسان هو واقع قائم بذاته، لذلك يتحتم

«دراسة اللسان منه وإليه»[10]، أي إنه يدرس اللسان من أجله وفقط، وذلك لغرض اكتشاف المميزات العامة المشتركة بظاهرة اللسان البشري، اعتماداً على منهج علمي وصفي بالأساس، بعيد كل البعد عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت الدراسات اللغوية السابقة خاصة النحوية منها.

فاللسانيات لا تهتم إلاّ بوصف الظاهرة اللغوية كما هي في الواقع، لا كما يجب أن تكون عليه، ولا تهتم بتتبع حياتها عبر الزمن وترصد التطورات التي لحقتها، بقدر ما تسعى إلى الكشف عن بنية هذه اللسان والوقوف على العلاقات التي تحكم هذه البنية اعتماداً على المشاهدة والاستقراء والتحليل، ولعلّ من أبرز مفاهيمها (الثنائيات) نذكر:

– اللسان ظاهرة منطوقة أصلاً (أسبقية الوجه المنطوق)، عليه فيجب اعتبار « دراسة الصورة المكتوبة للسان إلاّ فرعاً للدراسات اللسانية، ولم يعد الحرف بمفهومه الرسم المكتوب للصوت حدثاً علمياً يهتم به اللساني»[11].

– اللسان نظام جوهره صوري غير مادي، فهو عبارة عن مجموعة من النسب والعلاقات الصورية التي تندرج فيها الوحدات اللغوية على مختلف مستوياتها من أصغر وحدة(الصوت) إلى أكبر وحدة(الجملة)، فهو « نظام ترتبط جميع أجزائه على أساس اتحد الهويات اختلافها»[12]،مشبها إياه بقطع لعبة الشطرنج.

– اللسان ظاهرة تقديرية صورية تتحقق بفعل التكلم، فهو « النظام أو الهيكل التقديري الذي طبع في ذهن الإنسان منذ أن خلق»[13]، يقابله الكلام الذي هو التأدية الفردية أو الجماعية لهذا النظام.

---

[10] فرديناند ديسوسير: محاضرات في اللسانيات العامة.ص 39.

[11] خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات.دار القصبة للنشر. الجزائر.د/ط. 2002. ص 11.

[12] فرديناند ديسوسير: محاضرات في اللسانيات العامة.ص 45.

[13] خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات.ص 13.

– اللسان بوصفه الرصيد المشترك الموجود في ذهن كل أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، فهو الأحق بالدراسة والوصف، نظراً لصفة الثبات التي تميزه عن الكلام، باعتباره خارجاً عن إرادة الفرد الذي يستحيل أن يغيره، فهو « القانون المشترك بين أفراد المجتمع اللغوي الذي يسمح لهم بالاتصال ، وهو يتميز عن اللغة من حيث إنه ظاهرة اجتماعية تمارس فعاليتها بالقوة بمعزل عن إرادة الأفراد المتكلمين»[14].

– النظام اللساني يتألف من مجموعة من الوحدات ، اصطلحت اللسانيات على تسميتها بالعلامات السانية أو الدوال(signes)، التي لا ترتبط مباشرة بمدلولاته (الصورة السمعية)(image acoustique)، بل عن طريق التصور الذهني لهذه الدوال(المفهوم) (concept)، لأن التتابع الصوتي لكلمة شجرة (ش، ج، ر، ة) مثلاً لا يحيل على معنى شجرة إلاّ بوجود تصور ذهني لهذا المعنى، فهو بذلك لا يشكل علامة لسانية بمفرده، بل باتحاده مع مدلوله وفق المخطط التالي:

تصور ذهني

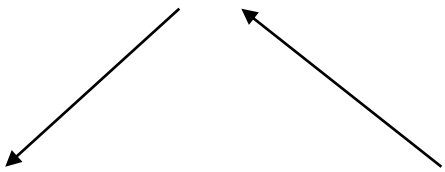

دال (ش، ج،ر،ة) ..... مدلول (كائن حي، خضراء اللون، طويلة، ظليلة)

[14] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات. ص 38.

– بما أن العلامة اللسانية تتألف من وجهين دال (signifie) ومدلول(signifiant)، فإنه يستحيل الفصل بينهما، لأنهما يرتبطان بعلاقة تواضعية اعتباطية غير مبررة، أوجدتها الجماعة اللغوية بالتواضع والاصطلاح في معظم اللغات، باستثناء حالات محدودة حيث تكون العلاقة بين الدال والمدلول طبيعة.

خلاصة القول إن اللسانيات بمختلف فروعها التاريخية والمقارنة والوصفية، قد فتحت الباب واسعاً أمام الدراسة العلمية الممنهجة، القائمة على الموضوعية في الطرح، والعلمية في التناول، والتي تنأى بالدراسة اللسانية عن الوقوع في مزالق المعيارية والذاتية، لذلك فلا عجب أن تهيم هذا المنهج على حقل الدراسات اللغوية لفترات طويلة، وأن يتربع على عرشها بثقة وثبات، بل ويصدر أفكاره إلى حقول أخرى خارج اللغة، متغافلاً عن جوانب مهمة في هذا الحقل الملغوم(اللغة)، ومن ذلك السياق وكل ما يحيط بعملية إنتاج اللغة.